تخطيط وعمارة مسجد الشاه عباس في أصفهان

يُعدّ مسجد الشاه عباس، المعروف اليوم باسم مسجد الإمام، أحد أعظم منجزات العمارة الإسلامية في العصر الصفوي، ويُجسّد الذروة الفنية للهندسة المعمارية والزخرفية الفارسية. أُنشئ المسجد في عهد الشاه عباس الأول (1587–1629م)، ضمن مشروعه لتطوير مدينة أصفهان وجعلها العاصمة الصفوية المزدهرة. يقع المسجد في الجهة الجنوبية من ميدان نقش جهان، وهو جزء لا يتجزأ من التخطيط الحضري الشامل للميدان الذي يضم أيضًا مسجد الشيخ لطف الله وقصر عالي قاپو والبازار الكبير.

وهو تصميم تقليدي للمساجد السلجوقية ذات العمق والاواوين الاربعة والمسجد بأكمله مغشى بالقاشاني حتى المآذن والجدران والعقود ، ومكسو بالزخارف وهو من تصميم المعمار علي اكبر اصفهاني

- **التخطيط العام:**

يقوم المسجد على نظام الإيوان الرباعي، وهو تخطيط معماري موروث من العمارة الفارسية الإسلامية منذ العهد السلجوقي، يقوم على وجود صحن مركزي مكشوف تحيط به أربعة إيوانات ضخمة متقابلة تمثل المحاور الرئيسة للمسجد.

الإيوان الجنوبي هو إيوان القبلة، ويُعدّ أكبرها وأفخمها، تتقدمه قبة ضخمة تمثل مركز الفضاء الداخلي. والإيوانات الثلاثة الأخرى تؤدي إلى أروقة وغرف كانت مخصصة للتدريس والإقامة والعبادة.

- **الاتجاه والقبلة:**

نظراً لكون واجهة الميدان موجهة شمال–جنوب، بينما اتجاه القبلة في أصفهان يميل نحو الجنوب الغربي، واجه المعماريون تحديًا هندسيًا فريدًا. وقد جرى تدوير محور المسجد بزاوية تقارب 45 درجة من محور الميدان، عبر ممر منكسر يربط المدخل بالمصلى الرئيس، مما جعل الواجهة منسجمة بصريًا مع الميدان دون الإخلال باتجاه القبلة... هذه المعالجة المعمارية تُعدّ من أذكى الحلول في العمارة الإسلامية

- **الصحن والإيوانات:**

الصحن: فناء مستطيل تحيط به الأروقة من الجهات الأربع، مزين بالكامل بالقاشاني الملون.

الإيوانات: أربعة إيوانات رئيسة، أكبرها الإيوان الجنوبي الذي يؤدي إلى القبة والمحراب، بينما الإيوانات الأخرى تُستعمل كمداخل إلى المدارس والمصليات الجانبية. ويحيط بالصحن عدد من الغرف الصغيرة والرواقات كانت تُستخدم لطلبة العلوم الدينية، مما يبرز وظيفة المسجد كمؤسسة علمية إلى جانب وظيفته التعبدية.

- **العمارة والزخرفة:**

بُني المسجد من الآجر (الطابوق)، واعتمد على العقود نصف الدائرية والمقرنصات في تغطية الفضاءات.

القبة الرئيسة مزدوجة القشرة: قبة داخلية لتوزيع الصوت والإضاءة، وخارجية مرتفعة لإبراز الهيبة من الخارج. وارتفاع القبة يقارب 52 مترًا، ويبلغ قطرها نحو 20 مترًا. وللمسجد أربع مآذن نحيلة، اثنتان عند المدخل المطل على الميدان، واثنتان الإيوان الجنوبي، تكسوها زخارف هندسية من القاشاني الفيروزي والنيلي.

استخدم المعماري تقنية القاشاني ذي الألوان السبعة التي تجمع بين الأزرق الفيروزي، النيلي، الأصفر، والأبيض. والنقوش تغطي الجدران والقباب والمآذن بالكامل، وتتوزع بين زخارف هندسية ونباتية دقيقة التصميم. اما النصوص الخطية فكانت بالخط الثلث والكوفي المزهر تتضمن آيات قرآنية وأسماء الأئمة والعبارات التوحيدية، مما يدمج الفن بالروحانية.

- **الدلالات المعمارية والفكرية:**

يمثل المسجد نقطة التقاء بين الوظيفة الدينية والتمثيل السياسي، إذ أراد الشاه عباس من خلاله أن يُظهر عظمة الدولة الصفوية وقوتها الحضارية. اذ يرمز نظام الإيوان الرباعي إلى تنظيم العالم الإسلامي حول محور روحي واحد (القبلة). والزخارف المتناغمة والوحدات الهندسية الدقيقة تعبّر عن فلسفة الوحدة في التعدد، وهي إحدى المفاهيم الجوهرية في الفن الإسلامي.

يظهر في عمارة المسجد توازن فريد بين الكتلة والفراغ، وبين الانغلاق الخارجي والانفتاح الداخلي. حيث ان المعمار الصفوي استخدم نظام التناظر والمحورية بشكل صارم لإبراز الجلال والقدسية. اللون الأزرق الفيروزي للقاشاني أصبح رمزًا لعمارة أصفهان، ومن خلاله تحقق وحدة بصرية تربط المسجد ببقية مباني الميدان.

- **الخلاصة :**

يمثل مسجد الشاه عباس في أصفهان ذروة النضج الفني في العمارة الإسلامية الإيرانية، حيث تضافرت فيه العقيدة والهندسة والجمال لإنتاج فضاء تعبّدي وتعليمي متكامل. ويُعدّ هذا المسجد نموذجًا يحتذى به في دراسة علاقة العمارة بالمجال الحضري، وفي فهم التحولات التخطيطية في العصر الصفوي.